

بسم الله الرحمن الرحيم

## رياض الصالحين

شرح حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه- "جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم- يعُودني عام حجة الوداع"

الشيخ: خالد بن عثمان السبت

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيقول النووي رحمه الله- في باب الإخلاص وإحضار النية، يقول: وعن أبي إسحاق سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي الزهري رضي الله تعالى عنه-، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة رضي الله تعالى عنهم-.

سعد بن أبي وقاص هو أحد العشرة كما ذكر المصنف رحمه الله-، وهؤلاء العشرة معروفون، أي: الذين شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم- بالجنة في مقام واحد، وإلا فإن الذين شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم- بالجنة أكثر من عشرة، لكن هؤلاء شهد لهم في مجلس واحد، في مناسبة واحدة، وقد جمعهم بعض أهل العلم ببيت، وهو قوله:

سعيد، زبير، سعد، عثمان، عامر \*\*\* علي، ابن عوف، طلحة، العمران

سعيد يعني ابن زيد، والزبير يعني الزبير بن العوام، وسعد يعني ابن أبي وقاص، وعثمان بن عفان، وعامر يعني أبا عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه-، وعلي هو ابن أبي طالب، وابن عوف: عبد الرحمن بن عوف، وطلحة بن عبيد الله، والعمران يعني أبا بكر وعمر، يقال لهما العمران، من باب التغليب، كما يقال القمران ويقصد به الشمس والقمر.

وسعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه- كما هو معروف- هو أول من رمى بسهم في سبيل الله، وهو أول من أراق دماً في سبيل الله، وقد اعتر به النبي صلى الله عليه وسلم-، وقال هذا خالي، وجمع له النبي صلى الله عليه وسلم- بين أبيه وأمه، فقال: ((ارم فذاك أبي وأمي))<sup>(١)</sup>، وما قال النبي صلى الله عليه وسلم- لأحد ذلك غير سعد رضي الله عنه-، وقيل: إنه آخر من مات من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم- بالمدينة سنة ثمان وخمسين، وقيل غير ذلك، واختلفوا في عمره حينما مات، والمقصود أنه عمّر، فقيل: كان له بضع وستون، وقيل: بضع وسبعون، وقيل: ثمانون، وقيل: تسعون، الحاصل أن وفاته تأخرت، ويجتمع نسبه مع النبي صلى الله عليه وسلم- كما ترون، وهنا في هذا النسب الذي ذكره: زهرة بن كلاب،

١ - أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب سعد بن أبي وقاص الزهري وبنو زهرة أحوال النبي صلى الله عليه وسلم- وهو سعد بن مالك (١٣٦٣/٣)، رقم: (٣٥١٩)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم-، باب في فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه- (١٨٧٦/٤)، رقم: (٢٤١١).

وكلاب هو الذي يجتمع به النسب بين النبي -صلى الله عليه وسلم- وبين أمه آمنة، يجتمع معها في كلاب في النسب، وكلاب اسمه حكيم.

وأما كعب بن لؤي فقليل: إنه أول من جمع قريشاً في يوم الجمعة، وكان يقال له فيما يذكره بعض المؤرخين، يقال له في الجاهلية: العرُوبة، وكان يحدثهم، قيل: إنه كان يحدثهم عن مبعث النبي -صلى الله عليه وسلم- وأنه من نسله وولده، ويأمرهم إذا بعث أن يؤمنوا به، ويتبعوه.

يقول سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه-: جاءني رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يعودني عام حجة الوداع من وجع اشتد بي.

جاءني يعودني، العيادة هنا المقصود بها عيادة المريض وزيارته، وفي هذا دليل على تواضع النبي -صلى الله عليه وسلم- وعلى فضل عيادة المريض، وأنها من سنن المرسلين، وفيه أيضاً فضل النبي -صلى الله عليه وسلم- حيث كان يعود أصحابه، فالكبير يعود الصغير ولا يأنف من ذلك، فعاده النبي -صلى الله عليه وسلم- لما مرض في عام حجة الوداع، وكان مرضه بمكة إبان الحجة -في وقتها-، ويقال لها حجة الوداع؛ لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- ودع أصحابه بعدها، ويقال لها حجة الإسلام؛ لأن المسلمين انفردوا بالحج في ذلك العام، كان الناس يطوفون جميعاً المسلمون والكفار، ويطوف الرجال والنساء عراً، يتدبنون ويتقربون إلى الله بذلك حتى إن المرأة تطوف عارية وتقول:

اليومَ يبدو بعضُهُ أو كلُّهُ\*\*\* وما بدا منه فلا أُحِلُّهُ

فكان هذا شأنهم، فلما كان عام تسع بعد أن فتح النبي -صلى الله عليه وسلم- مكة عام ثمان، أرسل أبا بكر عام تسع أميراً على الحج، وأرسل في أثره علي بن أبي طالب، ومعه رجال كأبي هريرة -رضي الله عنه- ينادون في الناس أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان<sup>(١)</sup>.

فلما حج النبي -صلى الله عليه وسلم- في السنة العاشرة حج الناس معه، ولم يحج أحد من المشركين، فانفرد المسلمون بالبيت الحرام، وهذا معنى قول الله -عز وجل-: **{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا}** [المائدة: ٣].

بانفردهم بالبيت الحرام كما قال كبير المفسرين ابن جرير الطبري -رحمه الله- لا يشاركهم فيه أحد، فالحاصل أن سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- مرض في عام حجة الوداع التي يقال لها حجة الإسلام؛ لأن المسلمين انفردوا بالحج فيها، ويقال لها أيضاً حجة البلاغ؛ لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال لأصحابه: "ألا هل بلغت اللهم فاشهد"، فيقال لها حجة البلاغ، وحجة الإسلام، وحجة الوداع، لهذه المعاني.

فزاره النبي -صلى الله عليه وسلم- من وجع اشتد به، يقول: فقلت: يا رسول الله، إني قد بلغ بي من الوجع ما ترى، وأنا ذو مال...

٢ - أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب لا يطوف بالبيت عريان ولا يحج مشرك (٥٨٦/٢)، رقم: (١٥٤٣)، ومسلم، كتاب الحج، باب لا يحج البيت مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وبين يوم الحج الأكبر (٩٨٢/٢)، رقم: (١٣٤٧).

سعد بن أبي وقاص يقول للنبي -صلى الله عليه وسلم-: إني قد بلغ بي من الوجع ما ترى، فذكر للنبي -صلى الله عليه وسلم- حاله ووجعه، وهذا لا يعد من الجزع المذموم.

وذكر العلة والبلاء وما نزل بالإنسان من المرض أو الفقر أو غير ذلك إذا ذكره العبد للمخلوقين على سبيل الشكاية لمن لا يرجو عنده الدفع والنفع، أو يذكره على سبيل التذمر فهو يشكو الخالق للمخلوق، والله -عز وجل- أرحم الراحمين، وهو أرحم بعبده من الأم بولدها، فكيف يُشكى الخالق إلى مخلوق لا يملك نفعاً ولا ضراً، والله -عز وجل- أرحم بك منه؟!، فهذا لا يجوز وهو حرام، وهو تسخط يذهب الأجر، ويعود فيه الإنسان بالوجع، وبالخبية والمرض، فمرضه لا يرتفع بالشكاية، وكذلك لا يحصل له الأجر، فالحاصل أن هذا لا يجوز.

وأما ذكر ذلك على سبيل الخبر المجرد -على سبيل الحكاية- فهو يجوز، ولكن الأولى أن يترك، أن يشكو الإنسان بثه وحزنه إلى الله -عز وجل-، كما قال يعقوب -عليه الصلاة والسلام-، فلا يخبر.

وأما إذا ذكر ذلك لحاجة معتبرة كذكر العلة للطبيب، يقول: أنا أشتكي بطني، أو نحو ذلك، أو أن يذكر ذلك لعالم أو لقاضٍ أو لمفتٍ أو نحو ذلك ليسأله عن مسألة، كأن يقول: أنا أعاني من كذا فهل يجوز أن أصلي كذا؟، يقول: أنا أعاني من المرض الفلاني فهل يسقط عني الصوم إلى البذل، وهو الصدقة الإطعام؟، أنا أعاني من كذا وكذا، فهل يجوز لي أن أوصي للورثة أو أن أوزع المال على الورثة؟، أو غير ذلك، فيسأل بهذه الطريقة فهذا يجوز، كما فعل سعد -رضي الله تعالى عنه- وهكذا إذا ذكره لمعنى معتبر مفيد.

النبي -صلى الله عليه وسلم- لما قالت عائشة -رضي الله عنها-: وارأساه، فقال: ((بل أنا وارأساه))<sup>(٣)</sup>، ولما سئل النبي -صلى الله عليه وسلم- عن شدة المرض الذي يقع عليه وأخبرهم أنه يُوكع كما يوكع الرجلان من أصحابه<sup>(٤)</sup>، فهذا من ذكر خصائص الأنبياء، ليس من باب التشكي والتسخط على رب العالمين، بل النبي -صلى الله عليه وسلم- أكمل الأمة يقيناً وإيماناً وتوكلاً وتفويضاً فلا يرد هذا المعنى في حقه، والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه.

٣ - أخرجه البخاري، كتاب المرضى، باب ما رخص للمريض أن يقول: إني وجع أو وارأساه أو اشتد بي الوجع (٥/٢١٤٥)، رقم: (٥٣٤٢).

٤ - أخرجه البخاري، كتاب المرضى، باب وضع اليد على المريض (٥/٢١٤٣)، رقم: (٥٣٣٦)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها (٤/١٩٩١)، رقم: (٢٥٧١).